

المسرح في عنق الزجاجة

رسالة دمشق من محيي الدين صبحي

العام الماضي مثلا والذي قبله .
وما دام قدر للمسرح القومي ان يستمر بغير ارادته - ان صح التعبير - فكان لا بد له من ان يشحذ قواه ويعتصر من العاملين به خير ما لديهم . وهذا ما كان . فقد شحذت الشدائد والمنافسات والتحديات والمزيدات هم العاملين فيه . بحيث استجمع كل منهم خبرته واذاف اليها موهبته واحساسه العام بالامور فسار المسرح على رجل طبيعية ورجل من خشب مدة تزيد عن الخمس سنوات ، وكانت مدة كافية له لكي يستعيد توازنه ويشكل ملامحه وياخذ كل مخرج خطأ يلائمه ، سواء في الاخراج او في انتقاء النصوص او في انتخاب الممثلين الذين يتعاونون معه .. غير ان هذا الهوء كان مجرد توازن ظاهري غير قابل للصمود امام اي امتحان . وقد جاءت الهزة المنتظرة عن غير طريق المسرح . هذه المرة جاءت عن طريق الصحافة . فقد اجرت صحيفة « البعث » استفتاء عن المسرح القومي استمر شهرا وكتبت فيه ما يقرب من عشرين مقالة ، كان بين الكتاب ممثلون ومخرجون ونقاد ومتفرجون ورسميون ومسؤولون ومعتزلون .. قال الجميع « لا » للمسرح القومي . قالوها باشكال مختلفة وباصوات متعددة وبصيغ شتى تفاوتت من « لا » صريحة الي « لا » خجول حية . وكانت النتيجة مرعبة لا بسليتها فقط ، بل باجماعها . وهذا ما يضطر اولي الفكر والتدبير الي اعادة النظر في الامور المسرحية على ضوء الاستفتاء ونتائجها .

(١٢ عاما عمر تجربة مسرحنا القومي . واقفه الحالي يحطم ضرورة دراسة تجربته الطويلة . « البعث » تطرح الموضوع للنقاش طلبت من معظم المعنيين المساهمين في النقاش ، وترحب باي رأي يصلها) .

بهذه الصيغة توجهت صحيفة « البعث » الى المساهمين في الاستفتاء . فاما المثلون المستفتون فقد اعلنوا بكل صراحة ووضوح انهم ، بعد ان اطوا من انفسهم عشر سنوات متلاحقات دون زاد ولا مؤونة ، قد افسسوا او على شفا الانهيار ، لقد نصب معيهم وجف عودهم وامحلت نفوسهم . ولا يملك المرء الا الاسى لهذه الاعترافات الصادقة والساذجة والمباشرة :

« بدأ المسرح القومي يخسر جمهوره لانه لم يعد يقدم له شيئا جديدا .. مسؤولية الكاتب المسرحي في فطرنا هي في انفصاله عن المسرح والعمل المسرحي . فانا لا اذكر مرة ان هناك كاتب مسرحيا عاش معنا واطلع على مشاكلنا ومجريات العمل في المسرح ، ذلك حتى يعرف تماما كيف يكتب للمسرح . وعلى وزارة الثقافة دعم الفرق الخاصة لتخلق جوا من التنافس » .

ثناء ديسي ١٤/١٠/١٩٧١

« ان مسرحنا بحاجة لاختصاصيين في المسرح .. بحاجة الى نقاد وممثلين درسوا في المعاهد العليا ومخرجين متخصصين .. وهؤلاء يكادون يكونون معدومين لدينا .. نحن لا نملك سوى موهبتنا وخبرتنا ، لكن هذا لا يكفي . انا واحدة من الفنانين الذين لا يعرفون ، الا في سورية . فماذا ساعطي اكثر مما اعطيت قبل سنة وستين وثلاث ؟ الكل يعاني نفس المشكلة » .

منى واصف ١٣/١٠/١٩٧١

« عناصر المسرح القومي مجموعة لا تنقصها الخبرة ولكنها وبكسل تأكيد ، بحاجة دائمة للمعرفة والدراسة .. الممثل هو الجزء الاهم من المسرح .. ولكن الظروف المحيطة بهؤلاء الممثلين تجعلهم عاجزين

لو كنت احتفظ بما انشر لرجعت الي رسائلي الاولى في « الاداب » حيث تحدثت في مطلع عام (١٩٥٨) عن مسرحية « العادلون » لالبيير كامو وعن مسرحيات اخرى يونانية قامت بتقديمها فرق من الهواة الجامعيين . وكان الدكتور رفيق الصبان حديث العودة الي الوطن من فرنسا ففتح بيته الكبير وقلبه الكبير ايضا واحتضن هذه الاشواق الفنية جميعها وراح يعطيها من ثقافته وذوقه وخبرته وصبره ما دفعها راسا الي مقدمة الفرق العاملة في الحقل المسرحي . ولم يتوان الدكتور رفيق الصبان ايضا عن تمويل « ندوة الفكر والفن » هذه بالمال اللازم لانتاج عدد من المسرحيات الجيدة ، وقد عرف كيف يستغل كونه واحدا من ابناء اعرق الاسر المشقية في سبيل جلب هذه الاسر الي المسرح بحيث استطاع ان يوازن على نحو من الاتماء بين ما ينفق وما يكسب .. وهكذا فلم يتم انشاء وزارة الثقافة ومؤسسة التلفزيون بين عامي ١٩٥٨ - ١٩٥٩ حتى كانت فرقته جاهزة لان ترقد فرقة المسرح القومي وفرقة التليفزيون بافضل العناصر التي ما زالت تعمل فيها حتى الان . وكان المسرح القومي حسن الحظ في بداية انشائه فوجد مخرجا بصيرا بالاعمال المسرحية وخبيرا في استشارة مواهب الممثلين وهو الاستاذ هاني صنوبر الذي يعمل الان في وطنه في الاردن . ولا ابالغ حين اقول ان النكسة الاولى للمسرح القومي كانت حين اضطر بخل وزارة الثقافة - او تباهلها - هذا المخرج القدير الي الرحيل في اواخر عام ١٩٦٢ وكانت النكسة الثانية حين جاءت الي المسرح القومي دفعة من الشبان المتخرجين من جامعة القاهرة .. حقا كانت اختصاصاتهم تتعلق بالعمل المسرحي ، ولكنهم لم يكونوا اهلا لتسهم مكان القيادة فيه ، بل كان من الواجب ايجاد مخرجين كبار من ذوي الخبرة والثقافة ليشرفوا على اعمال هؤلاء الشبان الوافدين ويديروهم على تمثل العمل المسرحي وتنفيذه وتحقيق الفرص من دراسة الشخصيات وتوزيع الادوار على الممثلين ورسم التجمعات ورصد الخطوات وتخطيط الاوضاع والحاسبة على النبرة والملح والبسمة .. الا ان شيئا من هذا لم يحدث بل حدث العكس تماما : فرغ المسرح من المخرجين المتمرسين ووقع ضحية سهلة بين ايدي شبان لا يملكون اكثر من نواياهم الطيبة ومطامحهم البعيدة في عوالم الفن وغير الفن .. وكان لا بد من الصراع على السلطة الادارية ، وكان لا بد من تدخل هذه الجهة او تلك ، وكان لا بد من تكتل المثلين مع هذا المخرج او ذاك .. فوضى سعت لان تنتظم في اشكال متعددة واسماء متعددة : ما رقد المسرح القومي وجعله يستمر في العمل انه هيئة حكومية اولاً ، يستمد وجوده من وجود وزارة الثقافة وحكمة مسؤول واحد فيها يتصف بالصبر وسعة الصدر والحزم ، هو الاستاذ ادب اللجمي معاون وزير الثقافة الذي استطاع ان يهدي الخواطر وينظم الصفوف المتناثرة ويفرض نوعا من النظام والتناسق بين الاعمال ، ولا يزال الي الان يتدخل كلما احتدم النزاع بين اطراف المعنية ، كما سبق واشرت - في رسالة سابقة - الي ما حدث في مهرجان الفنون المسرحية في

عن ان يكونوا نافعين ... يهسون بعربة الفن تسبقهم بسرعتها الجنونية ، وهم يلهتون وراءها وحيدين .. يحملون عبء الكلمة وعبء المعرفة وعبء المسؤولية وعبء المواجهة .. بمفردهم . ويشعرون تدريجيا بانهم هم انفسهم سيصبحون في يوم قريب عبئا جديدا ، ويا للأسف .

اسامه الروماني ١٩ - ١٠

فهل يمكن طرح القضية بارهف واعنف من سطور اسامة الروماني ؟ ان هؤلاء الممثلين الذين اقتصبت عنهم هم افضل الممثلين عطاء ومثابرة وجهاد . امدحهم الله بروح من لدنه ، فاني انحني لهم احترامما واشعر بالاسى والحسرة لتسبان موهوبين صادقين ومع ذلك يدفعون السى الهاوية دفعا ولا يملكون بعد عشر سنوات من انجد المتصل الا الخوف من ان يصعبوا عبئا ...

مع الممثلين كتب المخرجون . حاول كل منهم ان يتحسس مواطن الضعف من خلال عمله اليومي :

« اهم العوقات في وجه المسرح :

- ١ - عدم وجود مسرح مجهز تجهيزا كافيا .
- ٢ - عدم دخول عناصر جديدة وبعده كاف .
- ٣ - انخفاض التعرف بالنسبة الى النصوص ، اذ لا تمتدى (٥٠٠ ل.س.) .
- ٤ - نقص الكوادر الفنية ، فليس في مسرحنا مهندس ديكور او ماكيبير .

اسعد فضه ١١ - ١٠

« ... جميع هذه الاعمال لم تفرض على المخرجين بل اختاروها بملء ارادتهم . اختاروها واقرتها اللجان التي هم اعضاء بها ومنحوا افضل وسائل الانتاج وباشروا تدريباتهم واجروا بعض التعديلات . حذف من النصوص كل ما يمكن ان يفسر تفسيريا محليا ، حذف من الاشكال كل ما له علاقة ببلدنا ووطننا . ومن المؤلم ان تقدم النصوص (نظيفة من كل شيء) كي يفقد المسرح دوره في التحريض وفسي التفسير المحلي لاختياره .

اذن هذا الحياذ الذي قتل الثورة في المسرح القومي ، هذا العياد الذي حول المسرح القومي الى مسرح لا علاقة له بما جرى او بما يجري .. هذا الحياذ الذي اردوا له ان يكون ايجابيا فتسول الى سوق ..

وصل المسرح القومي الى حياذه بتكليف المخرج بالمرابعة .. وهكذا فعليه ان يكون حريصا جدا عند اختياره العمل وعند تقديمه .

غسان جبيري ٢٢ - ١٠

« ان مسرحنا حتى الان قام على المغامرة التي اعتمدت على الموهبة والعناد والايان .. لقد اثبت مسرحنا ان الموهبة والايان كافيان لان يخلقا ممثلا ومدرسة للتمثيل ولكننا الان .. وبعد عشر سنوات من الكفاح وصلنا الى وجه الجدار وبدانا نتلمسه .. وصلنا الى عنق الزجاجة .. وبات علينا ان ن فكر بطريقة للخروج ...

لقد استطاع المسرح القومي ان يتجاوز عقباته حتى اليوم بنجاح مشهود .. والسنوات التالية التي ستاتيها ستشهد ازمانه الاولى .. استطاع ان يصنع ممثلين .. ولكنه عاجز عن ان يكرر ما صنعه مرة اخرى ... فالمعجزات لا تحدث الا مرة واحدة ..

استطاع ان يصنع قواعد .. وان يثبت اصولا وان يبسطا بسن نقاليد .. ولكن لا زال ينقصه المنهج العلمي الذي لن يتم له الا بوجود معهد علمي للتمثيل .. يدرس هذا الفن على اصوله .. ويشخصه الموهبة ويصقلها ثم يقدمها .

الدكتور رفيق الصبان ٢٤ / ١٠ / ٩٧١

لقد اطلت من اقتباس الدكتور رفيق لانه حكم هام . واهميتها تأتي من انه يصدر عن الشخص الذي تولى تأسيس هذا المسرح

واكتشاف مواهب كل الاسماء المذكورة من مخرجين وممثلين . فهو « العلم » بلا منازع . ومع ذلك فان كلام العلم والمعلم لا يفتقر كثيرا عن كلام تلاميذه وتلميذاته : الحاجة الى المزيد من التعلم والتعلم والتعلم .. لقد استسلم الجميع امام هذه الحقيقة واعلنوها بلا مواربة ولا رياء . الناحية الرئيسية التي نغرد بها كلامه ، بلاضافة الى التسليم بالازمة ، هي نبوءة العصرية بان « السنوات التالية التي سناتيها ستشهد ازمانه الاولى .. » وهي نبوءة علمية تقريبا ، فما دامت العناصر البشرية ستظل تعتمد على موهبتها واجتهادها وحدها فسوف تقع في الحلقة المفرغة وتبدأ من جديد بلا امل . فمن الواجب تعليم هذه المواهب بالثقافة والعلم . على اسي لا ادري اذا كان افتتاح معهد للتمثيل يحل المشكلة اكثر مما يحلها : فهل يستطيع اعطى ان يسوعب اساج معهد يخرج كل عام دفعات من الفنيين في مختلف اختصاصات المسرح ، وهل يستطيع ان يؤمن لطلابه المسوى التعليمي الرفيع الذي يكفي لاحداث نهضة مسرحية حقيقية ام انه سوف يخرج اناصاف متعلمين ، اناصاف مثقفين ، من انمط الذي ننسكو منه والذي يشكو من نفسه ؟ اذا كان الاحتمال الثاني اقرب الى الوقوع والواقع فعدونا نصرف النظر عن انفاق الاموال في بناء مؤسسة فاشلة وتصرفها في ايفاد الموهوبين من الممثلين المخرفين والهواة والمخرجين ، لكي يتسلخوا بالمعرفة اللازمة والاختصاص العلمي والاطلاع اللازم لرفع مستوى المسرح في القطر . ترى هل تجول مثل هذه الاسئلة في اذهان المسؤولين ؟ لقد نوه وزير الثقافة في مقانه بهذه الناحية خاصة :

« .. اما الشروط الفنية فانا اعترف بان هذه الشروط ليست متوفرة بدرجة كافية ... ونحن نأمل اذا ما ضاعفنا عدد البعثات الفنية للخارج والتورات التدريبية ان نسد هذه الثغرة ، بانظطار قيام معهد للمسرح والفنون الاخرى » .

فوزي الكيالي ١٧ / ١٠ / ١٩٧١

من الواضح ان كلام الوزير ، ما دام فد بدأ بجملته « نحن نأمل اذا .. » فهو لا يعدو الاماني او في افضل الاحوال ، هو ممن الاقتراحات التي نوضع فيد الدرس . ويؤيد اسنناجي ان مقالة الاسناذ اديب اللجمي معاون وزير الثقافة تخلو من الاشارة الى اية مشروعات او خطط في هذا المجال . فهو قد افتتح المناقشة او الاستفتاء بمقالة من اربع نقاط : (١ - الحركة المسرحية في القطر فنية ، ٢ - تعتمد على التقدير الشخصي ، ٣ - ترتبط بوزارة الثقافة ، ٤ - لا تستطيع الفرق الخاصة ان تنشأ ونستمر الا بمعونة النولة) . من هذا الاستقرار البسيط ، او « التنجيم » اذا صح التعبير ، نستطيع ان نلمس الفرق العظيم بين التخطيط من فوق والطلعات من تحت ، واذا شئنا ، الفرق بين القاعدة والقمة . فالمتلون الذين يشكلون قاعدة التمثيل المسرحي واساسه لم يطالبوا برفع الاجور ولا بدفع الفرق بين ساعات العمل في ايام العطل او في الاليالي الحالكاك ... لقد تجاوزوا كل ذلك الى اسمى مطلب يتجلى فيه نكران الذات : انهم يريدون ان يتعلموا وان يطلعوا لكي لا يبسس نسفهم فيتعطل عطاؤهم او يتضائل . ولو وجد من ينظر الى طلبهم بعين الانصاف لعمل على تلبينه باسرع ما يمكن ، ولتفكرت اوجه الاتفاق وانخطيط بحسب ما يراه اهل المهنة مناسبا . وانا دائما الح على الاهتمام برأي اهسل الحرفة لانه يمثل الحاجات العملية الملحة والراهنة .

على ان الاستفتاء لم يتوقف عند هذا الحد ، بل نقد ادلى فيه النقاد بدلوههم فلم يخرجوا عما جاء في اعترافات المحترفين ، وان جاءت آراؤهم اكثر دقة وشمولا ، في بعض الاحيان ، وجمودا ونكرانا في احيان اخرى .

(١ - لا وجود لهدف دقيق يسعى اليه المسرح . ٢ - اصبح مسرحنا القومي يتبع الموضة . ٣ - لجا فنانونا الى رؤية المسرحيات في الخارج واخذ صور عن ديكورها وملابسها ومناقشة مخرجها وقراءة

أطار الاماني . ولم تستطع ان تجسد عمليا بصورة ايجابية في علاقة جديدة متطورة . ولذلك بدأ يخسر جمهورا دون ان يكسب ما يبادل . وبدأ يفقد تماسكه الاول لانه اراد توظيف نفس اساليبه القديمة في العمل والتخطيط لاهداف جديدة لم تتوضع تماما لديه . فاصبح يسير بين بين .. مترددا مضطربا ... عاجزا عن حسم القضية » .

محبي الدين صبحي

دمشق

السودان

رسالة من حساب الله الحاج يوسف
وأفصح الادب السوداني

طلبت من الاستاذ عبدالله حامد الامين رئيس الندوة الادبية فسي
السودان ان يحدثنني عن قضايا الادب السوداني ومشاكل النشر ، فادلى
الي بما يلي :



الاستاذ عبدالله الامين

ظلت الحركة الادبية في السودان تعاني من المحلية الضيقة ، ومن
انعدام امكانيات النشر زمنيا طويلا . اما المحلية فكان سببها انزوال
السودان نفسه عن الحركة العربية ، والحركة العالمية قبل الاستقلال .
كانت المرحلة مرحلة تحرر من رقبة الاستعمار ، واتجه الادب حينذاك
الى التعبير عن قضايا تلك المرحلة وشعاراتها في اشكال بسيطة
مباشرة . انتشر الشعر السياسي ، مرتبطا بالناسبات الوطنية بقضية
الكفاح ضد الاستعمار ، وبالتعبير عن دور الفئات والطبقات
الجديدة ، خاصة مشاكل الجماهير الكادحة ، وظهرت الاقصوية
القصيرة لتصور بعض الجوانب الاجتماعية من هذه المشاكل ، في الوقت
الذي انصرف الشعر الى الجانب السياسي المباشر منها .

حصيلة هذه الفترة اذا قيمناها فكريا ، وفنيا ، نجدها مفرقة في
المحلية ، وذات مستوى ضعيف في الامم الغالب ، خاصة الانتاج المرتبط
بالمنابر الحزبية التقليدية ، والشاهد على ذلك ان كثيرا من ادبتلك
الفترة ، والذي كان يجد رواجا عظيما في وقته ، لم يعد يمثل
الان تراثا ذا قيمة فنية تتناسب مع ما كان له من رواج ، وكمثال
لذلك اذكر بالتحديد ديوان « هتاف الجماهير » للشاعر حسن طه ،
وديوان « حرية وجمال » لجعفر حامد البشير ، وكلاهما كان له صولة
وجولة في منابر السياسة ، وايضا شعر على نور شاعر « مؤتمر

ما كتب عنها . ٤ - استطاع المسرح القومي ان يضم حوله جمهورا
لا يتعدى البضعة الاف ، فهل خلق من اجل هؤلاء فقط ؟ ه - فشلت
كل التجارة - المسماة خطأ - المسرح الشعبي) .

الدكتور سلمان فطايه ١٩٧١/١٠/٢٨

(ولد مسرحنا القومي بلا مختصين ولا تقاليد ... وليس من
سبيل لتطوير تجربته الا بالتخطيط الذي يستدرك فقرات الماضي
ويوسع هوية المسرح الطبيعي الذي نريد) .

جان الكسان ١٩٧١/١٠/٢٧

(بين (٥٤) مسرحية ، هناك سبعة نصوص سورية فقط . اذا
استثنينا منها نصين كوميديين ضعيفين وجدنا ان الباقي عبارة عن
خمسة نصوص تيوسف مندسي وعني تيمان وحكمت محسن واحمد
يوسف داوود وعلي عقله عرسان ... وغابية هؤلاء دخلوا المسرح في
زيارة - عدا الاخير منهم - بينما يتراوح نتاجهم الاساسي بين الشعر
والصحافة والادب .

... ما نريده لمسرحنا القومي هو ان يصبح مدرسة للنص الجديد
والممثل الجديد والمخرج الجديد ..

رياض عصمت ١٩٧١/١٠/١٢

احكام النقاد هذه تتوجه في معظمها الى موضوعين : الى المخرجين
الذين يقتبسون - وهذا طبيعي في رأيي - والى الكتاب المحليين
لاشهار افلاسهم ، اسوة بالمثليين . والناحية التي ذكرتها مني واصف
يؤكدنا الاحصاء الذي اورده رياض عصمت ، ويعلنها ما ذكره اسعد
فضة من ان ثمن المسرحية لا يتعدى الخمسمائة ليرة سورية ولست
ادري كيف يمكن افناع الكتاب بالانصراف الى العمل المسرحي والانخراط
في جو المسرح ما داموا في تحصيل رزقهم يعتمدون على وظائف
بعيدة عنه . الوحيدان اللذان اتيح لهما ان يعملوا في المسرح هما علي
عقله عرسان ، وهو مؤلف مكثر ودؤوب ، وسعد الله ونوس السذي
يعتمد على شهرته اكثر مما يعتمد على النصوص التي يرميها فسي
السوق . وقد عالج تطور المسرح وتطور علاقته بالجمهور معالجة واعية
نحب ان نختتم بها هذه الرسالة :

« العاملان الاساسيان اللذان حددا طبيعة نشأة المسرح القومي
ههما :

« اولا - الهوية الفكرية والاجتماعية للقائمين على المسرح آنذاك
باعتبارهم جزءا من الطبقة القوية السائدة التي تستطيع - ولو لم تكن
في الحكم - ان تفرض ثقافتها ونمط تفكيرها .

اما العامل الثاني فهو هوية وزارة الثقافة نفسها كمؤسسة
مهمتها ان تقدم خدمات الثقافة لهذه الطبقة بالذات .

هذان العاملان حددا نوعية الزبائن ومطالبهم مما جعل المسرح
القومي « مجرد جسر بين المسرح الاوروبي بمعناه البورجوازي وبين
بيئتنا التي لم تستطع ان تبلور لها مسرحا » .

ثم حدثت ثورة اجتماعية ... « فتغير مواقع القوة الاجتماعية
اصبح حقيقة ضاغطة او التوجيه الايديولوجي النظري بدأ يترسخ
ويحاول قولبة الثقافة وفقا لرؤيته ومنطقه ... ولهذا صار ضروريا
ان يفكر المسرح القومي جديا في تغيير جمهوره » .

لكن تغيير الجمهور عملية معقدة تستوجب عدة شروط :

١ - وعي يستطيع ان يحدد هوية الطبقات التي يريدنا جمهورا
لمسرحه .

٢ - ان يتفق المضمون الفكري للمسرح - او للقائمين عليه -
مع المصالح الحقيقية لهذا الجمهور .

٣ - ان تمتلك القدرة والوسائل اللازمة للتفاعل بشكل جدي
ومستمر مع هذا الجمهور .

« ان ارادة تغيير الجمهور لدى المسرح القومي القومي بقيت في

الغريجين» وهو المؤتمر الذي ضم صفوة المثقفين في وقته . ثم انتكس بفصل الخلافات الحزبية .

هذا ما كان من واقع الشعر ، اما القصة القصيرة التي بدأت تنتشر بعد الحرب الثانية ، فقد نشأت في احضان الواقعية الاشتراكية باضيق نطاق ، وأبأس صورة ، وكتب أكثر كتاب الرحلة عن ماسحي الاحدية ، وباعة السجائر ، والبغايا ، واعادوا في ذلك وكرروا ، دون مضمون اجتماعي عميق ، اذ كان كل همهم تلطيف هذه النماذج البشرية البائسة بجبر المطابع ، بدلا من تراب الارض التي يعيشون عليها . وكتب بعضهم عن العمال من زاوية الهتاف السياسي والنيرة الاخلاقية ، ووضح مثال من ذلك قصة « مات حجر » لمحمد سعيد معروف ، والتي روج لها النقاد السياسيون في وقتها ، كبادرة عظيمة من بوادر الادب الواقعي الجديد . ولكن القصة كانت تقريرا غير منسق ، وغير منمق لجانب من حياة عامس مات في النهاية ، ومذكرات « اغشي » لعبدالله رجب التي وجدت ايضا رواجاً في وقتها من نقاد الواقعية السياسية ، اعاد صاحبها نشرها منذ وقت قريب بدون اي رواج ، ذلك لان مستوى الاجيال الشابة من الكتاب والقراء ارتفع كثيرا ، واتسعت الافاق ، وتغيرت المفاهيم البدائية عن الواقعية الاشتراكية ، وعن مضمون شعار « الادب للحياة » . كل ما تبقى من تراث تلك الفترة اصبح سجلا تاريخيا يهيم الدارس والباحث في نشأة الادب السوداني الحديث ، ولكنه لم يعد مما ينفع الناس ويمكث في الارض .

هذا بالطبع عن الادب السوداني في فترة ما قبل الاستقلال ، والى ما بعد الاستقلال (١٩٥٦) الى فترة اخرى غير طويلة .. حيث بدأت تتبلور بعد ذلك الاتجاهات الادبية الحديثة ، شعرا ونثرا ، حين انصرف الادباء الى القضايا الفكرية والاجتماعية للمجتمع الجديد ، الذي واجه قاداته ، وسياسيوه ، بعد الاستقلال معركة التحدي الحقيقية ، والتي تتمثل في التنمية الاقتصادية ، والاجتماعية ، وفي رفع التعليم ، والثقافة في البلاد . وفي استجابة لطالب الجماهير الزمينة، والعاجلة، وتفتحت الازهان من ثم على تجارب الامم الاخرى ، في العالم الثالث، وفي الدول الحديثة عامة ، وانفتح الباب الذي كان مغلقا امام الثقافات والاداب العالمية على معرفيه ، خاصة وان السودان اصبح عضوا بارزا في الاسرة العربية، وفي القارة الافريقية وامتدت علاقاته وتشعبت الى انحاء العالم شرقا وغربا .

كان هذا مدعاة بالطبع لظهور ، ونمو المدارس الفكرية المعاصرة، فتطورت المدارس الاشتراكية ، وظهرت الاتجاهات الوجودية ، وتطلع الناس الى حرية الفكر ، بحثا ، وحوارا ، وتصخم الى حد كبير قطاع المثقفين بمختلف فروع المعرفة والعلوم ، وبرز منه كتاب ونقاد في كل هذه الفروع . وهذا ما جعل مهمة الاديب خطيرة وعسيرة ، اذ انه لم يعد يستطيع ان يعي على استعداد مشاعر البسطاء او استدراجهم بالهتاف ، فالقصة أصبحت تقديم النموذج من الانتساج الابداعي الذي يرضي اعلى المستويات ، وارقى الاذواق ، من زاوية ارسنقراطية اجتماعية ، ولكن من زاوية فنية وموضوعية علمية. مع توثق وعمق الارتباط ايضا بقضايا الجماهير ، والتعبير عن متطلبات المرحلة داخليا ، وخارجيا ، لانه لم تعد اهتمامات الاديب السوداني في هذه المرحلة محلية ، او وطنية ضيقة ، فقضية المصير العربي تاتي في مقدمة اهتماماته ، كارتباط ازملي لا يتزعزع ، يؤثر عليه تأثيرا مباشرا ، وينتثر به بنفس الدرجة ..

هذا ما جعل كثيرا من الانتاج الشعري الحديث يكرس لقضية المقاومة الفلسطينية والدفاع عن الارض العربية المحتلة ، كما جعل كثيرا من الكتاب والكتابات النقدية من السودان توجه لى هذه الناحية ويوضع في ميزان النقد في مجالات النشر والاعلام المحلية ، كل الكتاب

والشعراء العرب الذين يتناولون هذه القضايا من نتاجهم المنشور . والنقد الذي تعرض له الشاعر نزار قباني في بلادنا منذ النكسة تأكيد لانتماء الحركة الادبية السودانية الى القضية المصرية ، وحرصها على ان تؤدي دورها بفعالية والتزام .. من ناحية اخرى فان الاديب السوداني بحكم الموقع الجغرافي والتاريخي للشعب السوداني ، وبحكم تكوين هذا الشعب يصبح معنيا بأكبر درجة ، بقضية التحرير الافريقي، ويحمل لواء العروبة الحضاري في هذا الجزء من القارة .. من هنا فقد جعل الشعر السوداني خاصة يتناول قضية الانسان الافريقي الجديد ، مثلما عني بصير الانسان العربي الجديد ، والنماذج الدالة على ذلك كثيرة لا تحصرني كلها ، ولكنني اذكر « زنباريات » محمد المكي ابراهيم، في ديوانه « امي » و « لومبيات » صلاح احمد ابراهيم في ديوانه « غصبة الهبياتي » وقصائد جنوب السودان التي نشرها محمد المهدي مجنوب في ديوانه « نار المجاذيب » . وبعض قصائد محمد عبد الحفي ، والنور عثمان ، وكلا الاخيرين قد اشترك في الدعوة لمدرسة « الغابسة والصحراء » في الادب العربي السوداني ، والتي تمثل لقاء العروبة بالزنجية على هذه البقعة من الارض ، ولا ننسى بالطبع معظم شعر (الفيتوري) والذي اتجه في بدايته الى افريقيا اتجاها عنصريا ، ثم حاول بعد كثرة النقد ان يفلسف القضية بصورة اكثر انسانية مع الابتعاد عن الهتاف الذي كان يصرخ به من « اغاني افريقيا » .

اما القضايا العربية ، ومعارف المصير ، فمطروحة في كل انتاج الادباء والشعراء السودانيين ، لا يكاد يخلو منها ديوان شعور ، او مجموعة قصصية ، او أي انتاج آخر .. ودوننا دواوين الشعراء : جبلي عبد الرحمن - محي الدين فارس - تاج السر الحسن - سيد احمد الحارثي - مبارك حسن الخليفة - محمد المهدي مجنوب . ومن منطلق عربي وافريقي عاجل هؤلاء الشعراء فضايا النضال الآسيوي الافريقي ، وقضايا التحرر العالمي بصورة عامة .

اما النتاج القصصي فمن الصعب شموله بنفس الدرجة من التعبير عن القضايا التي ذكرنا ، وذلك لسببين ، اولهما : قلة حصيلة القصة حتى الآن ، والتي لم يتجاوز المنشور منها اصابع اليدين من المجموعات القصصية القصيرة ، وعددا اقل من ذلك من الروايات الطويلة . وثانيهما : ان المشاكل الاجتماعية الملحة مع ضرورات حركة التطور والتبلور في المجتمع الجديد ما تزال وستظل الى امد طويل شغل كتاب القصة الشاغل . ومعور كل انتاج ، كما ان القصة ظلت محصورة في نطاق النشر المحلي ، ومجالاته ضيقة ومحدودة ، حتى لترى تأثير ذلك في القصة القصيرة عندنا واضحا في صفر حجم هذه القصة الى ادنى درجة ، ولانها بدون ذلك تواجه صعوبة النشر ، والكتاب القصصي الوحيد الذي كسر الطوق وخرج من القوقعة هو الطيب صالح ، واكاد اجزم ان هذا الروائي الكبير لو كان موجودا في السودان لظل مغمورا كغيره في دائرة الانغلاق ، دون ان يحس به احد في الخارج الا القلة القليلة جدا من المعنيين ، والمهتمين بشؤون الفكر والادب في السودان . ولكن لحسن حظ الطيب صالح والقصة السودانية من بعده، انه كان وظل ينتج من دائرة الضوء الكبرى من موضع عمله الاعلامي الرحيب في العاصمة البريطانية ، ويظل من يمكن ان ينافس او يجاري الطيب صالح من كتاب القصة الجدد مغمورا بالداخل ، واذكر على رأس القائمة الروائي الشاب ابراهيم اسحاق ابراهيم ، السذي صدر له منذ ثلاث سنوات روايته الاولى « حدث في القرية » ، كما صدر له منذ ثلاثة اشهر روايته الثانية « اعمال الليل والبلدة » . واذا كانت « موسم الهجرة الى الشمال » هي قمة اعمال الطيب صالح ، فان رواية « حدث في القرية » لابراهيم اسحاق ، وهي تمثل موسم هجرة الى غرب السودان ، لا تقل نضجا فنيا ، ولا وعيا انسانيا عن رواية الطيب صالح ، غير ان الطيب صالح يتفوق عليه بفخامة العبارة

في اعدادنا القادمة

ابحاث

بيرم التونسي والوجدان الاشتراكي رجاء النقاش
يوسف الشاروني في رحلة الدورة سامي خشبة
الاقصوة العربية في الارض المحتلة صبري حافظ
هاملت وتجربة الاقتراب من شكسبير محيي الدين اسماعيل
دروب الادب الجديدة في العالم ترجمة عايدهم. ادريس

قصائد

قصيدة جديدة الدكتور خليل حاوي
قراءات أخرى فوزي كريمة
عن رجل اضاع شيئاً ما احمد يوسف داوود
من يوميات سيف في بلاد الروم عبدالعزيز المقالح
بضع كلمات للحديث عن فراس محمد القيسي
الصيف ودورة المنجل محمود علي السعيد

قصص

الصوت والصمت سليمان فياض
السلام الضيقة والتنين ادوار الخراط

يمكن للقارئ العربي ان يحصل على هذه الكتب خاصة اذا اضيف
اليها تكاليف النقل ، واجور التوزيع ؟.. هذه ازمة اخرى !
انا نامل في ان يتلافى المشرفون على هذا القسم الوليد
كل اوجه النقص هذه ، حتى يسهموا اسهاما فعالا في تنشيط حركة
التأليف والنشر داخليا ، وفي تقديم الادب السوداني والثقافة
السودانية خارجيا .

لقد ظل الابداء من السودان ينتظرون ، والحالة هذه ، ان نهنم
الدولة بقضايا الفكر ، ومشاكل التأليف والنشر ، وكانت مساهمة الدولة
دائما ضعيفة ، او شبه منعدمة ، اذا ما استثنينا تجربة لجنة التأليف
والنشر بوزارة الاعلام والثقافة ، والتي انتهت ليحل محلها الآن المجلس
القومي الجديد لرعاية الآداب والفنون .. هذا المجلس الذي ظل امدا
طويلا امل كل الحاديين على الحركة الادبية والفنية في السودان ، على
اعتبار انه سيكون المحور لنشاط هذه الحركة ، ولتنظيم اوجه
العناية بها . ورعاية كل العاملين في الحقل الادبي والفني .

ان الزمن ما زال مبكرا امام المجلس ، لانه لم يمض على انشائه
اكثر من خمسة اشهر ، وهو مشغول حتى الآن بتنظيم كيانه ، وادارته
وبتعبير مخصصاته التي تمنحه القدرة على الحركة (!) والماحول ان
يتعد هذا المجلس عن عقد الروتين الحكومي ليلتحم التحاما عضويا
مباشرا باهتمامات الحركة الادبية ، واحتياجاتها الملحة ، والقضية
الاولى التي تواجهها هي قضية النشر . اذ ما يزال الكثير من نتاج ابداء
السودان ينتظر الفرصة التي تسنح له للخروج الى النور . كما ان
قضية التبادل الادبي والثقافي مع البلدان العربية الشقيقة تاتي في
مقدمة المهام التي يواجهها ، وتأتي بعد ذلك مسألة تنشيط دور الثقافة
المحلية ، ودور الفنون ، والجمعيات الادبية ، وخطط المجلس وبرامجه
- كما أعلم - تحوي على كل ذلك .

والشاعرية ، ولعلي اجد فرصة قريبة لاتناول هذه الرواية ، ورسيفتها
الاخرى بالعرض والتحليل والمقارنة على صفحات هذه المجلة .

ان ازمة النشر في السودان ، وانعدام امكانيات التوزيع من
الداخل الى الخارج ، ظلت سببا مباشرا في عدم وصول الادب السوداني
الى القارئ العربي ، كما كانت سببا في اختلال تقييم هذا الادب
خارج السودان ، ويكفي ان اذكر ان اكثر الذين اشتهروا من ابداء
السودان هم ممن عاشوا خارجه ، او ممن وجدوا فرص الاتصال المباشر
بدور النشر والصحف العربية ، واحجم الكثيرون ممن لم يجدوا
الطريق كغيرهم عن النشر في الخارج ، لانشغالهم في نشاطات محلية ،
او نهيبا ، او تواضعا عن افتتاح مجالات لم يدعهم اليها احد ، وتبعد
بينهم وبينها الشقة . ويكفي ان نقول ، ان شاعرا مثل محمد المهري
الجنوب ظل حتى وقت قريب ، ولعله لا يزال مجهولا في العالم العربي ،
مع انه اكبر شعراء السودان ، واكثرهم ابداعا .. ولا يقع اللوم - في
اعتباري - على دور النشر والصحافة العربية وها هي على سبيل
المثال مجلة « الآداب » تفتح صدرها منذ انشائها للكتاب والشعراء
من جميع ارجاء العالم العربي ، ومن خارجه ، ولكن للأسباب التي
ذكرنا انفا لم تعكس الصحافة العربية الوجه الحقيقي للادب السوداني ،
كما ينبغي .

ان هذه مسؤوليتنا بالطبع ، وهي عقدتنا ايضا .. ونحن نبحث
الآن عن وسيلة مباشرة للارتباط بالنشر العربي بطريقة منظمة .
ان كثيرا من دور النشر في (بيروت) وكثيرا من الصحف
العربية ، وكذلك ، وكذلك مؤسسة النشر (بالقاهرة) ترحب - كما
اعلم - بالانتاج السوداني ، ولكن النشر في بيروت يواجه مشكلة
الاختيار اولا ، ثم حفظ حقوق المؤلف ثانيا .. والنشر في القاهرة يواجه
ازمة التأجير الاداري ، ورداءة التوزيع ، وهذا مما يقلل من حماسة
الكتاب السودانين للنشر في الخارج ، ويجعلهم اكثر اعتمادا على
الامكانيات المحلية على علاقتها .

لقد طبعت المؤسسة العامة بالقاهرة في العام الماضي مجموعة
قصصية للطبيب زوق عنوانها « الشيء الذي حدث » ، بعد ان ظلت في
انتظار دورها في الطباعة لمدة عامين ، وبعد خروجها ، فان الذي حدث
حقيقة ، هو ان هذه الرواية لم يصل منها أي عدد من النسخ الى
السودان منذ العام الماضي ، وحتى كتابة هذه السطور ..!

ان الاهتمام بحل مشاكل النشر في السودان ظل يزداد يوما بعد
آخر . بوسائل متعددة ، فقد ظهر في الخرطوم الوكلاء ، والوسطاء ،
الذين يتعاملون مع بعض دور النشر ببيروت ، ولكن اكثرهم غير
متفرغ ، وبعضهم يعمل على اساس تجارية بحتة ، ويقض الثمن مقدما ،
ويبحث عن اسم لامع تروج به بضائمه .. وهكذا يظل الكتاب الواعدون
من الشباب في حالة ضياع وموت حقيقي .

ولعل اكبر عمل منظم في حقل النشر انشئ في السنوات
الاخيرة هو قسم التأليف والنشر بجامعة الخرطوم ، وهو قسم يملك
امكانيات واسعة ، ولكنه ومعها مطبعة الجامعة يظل مشنودا الى
العمل « الاكاديمي » الذي يستغرق اكثر جهده ، اما دوره في مجال
النشر العام ، فقد قام باصدار بضعة كتب من التراث الادبي السوداني
وبعض القصص ، والدواوين الشعرية لحدیثة ، بشكل متقطع وضيق .
وعقدة هذ القسم انه يكلف نفسه الكثير لتقديم طبعات فاخرة ،
وبعض القصص ، والدواوين الشعرية الحديثة ، بشكل متقطع وضيق .
قيمة الورق الفاخر الذي طبع عليه ، لانه تم نشره للمعان اسم المترجم
اكثر منه لقيمة المادة المترجمة ، وهذه ازمة .. والقارئ السوداني
يجد صعوبة في الحصول على كتب هذا القسم ، بسبب ارتفاع
اسعارها ، والتي تزيد اضعافا عن قيمة الكتب المنشورة الواردة من
بيروت ، او القاهرة .. فاذا كان هذا شأن القارئ السوداني ، فكيف